ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Loss in Poetic Practice: The Poets of Al-Shirqat as a Model

Hussein Ahmed Ibrahim

Ministry of Education / Salahuddin Directorate of Education

Ghanam Mohammed Khudhur

University of Tikrit / College of Education for Human Science

* *Corresponding author: E-mail* :
huseenahmed30@st.tu.edu.iq

Keywords:
Loss
Al-Shirqat
Duality
Presence
absence

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Mar 2025
Received in revised form 25 Mar 2025
Accepted 2 Mar 2025
Final Proofreading 29 Dec 2025
Available online 31 Dec 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

This research explores several key themes related to *loss*, beginning with its definition both linguistically and terminologically. The concept of loss intersects with multiple meanings, encompassing both physical and emotional dimensions. It includes the disappearance of shared mnemonic elements within the poets' experiences. In poetry, loss manifests in various forms that reflect emotional experiences, whether existential, such as death, absence, and separation, or emotional, such as deprivation, longing, and memory. All of these serve as motivators that inspire poetic expression, reflecting the poet's personal experiences with what has been lost.

The study also addresses the duality of presence and absence, which provokes the poet's memory and stimulates a comparison between past and present consciousness. This dynamic unveils emotional depth in the creation of poetic texts. Moreover, the research delves into elegy and the pain of memory, emphasizing how elegiac emotion can generate authentic feeling and the interplay of words that intensify meaning. These are fundamental aspects of lyrical poetry, which draws its material from subjects closely tied to emotional experience.

© 2025 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.12.2.2025.5

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

الفقد في الاشتغال الشعري، شعراء الشرقاط نموذجا

حسين احمد ابراهيم/ وزارة التربية/ مديرية تربية صلاح الدين
غنام محمد خضر/ جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

يتناول البحث عدة محاور رئيسية تعلقت بالفقد، مرورا بتعريفه لغة واصطلاحا، حيث تقاطعت عدة معان في تعريفه منها فقدٌ مادي وفقدٌ معنوي، وكل ما له علاقة بضياع المشتركات الذاكراتية في تجربة الشعراء، ويحضر في الشعر بأشكال متعددة تحمل مضامين التجربة الشعورية سواء كان فقدانا وجوديا يتمثل (بالموت، والغياب، والانفصال) ام فقدانا معنويا يتجلى (بالحرمان ، والحنين ، والذكرى)، فكلها بواعث تفترض اشتغالا شعريا يعكس التجارب التي عاشها الشاعر مع ما فقده.

كما تناول البحث ثنائية الحضور والغياب، التي تعمل على استفزاز الذاكرة لدى الشعراء والعمل على مقارنة الوعي بين ما كان وما هو كائن، فهو الذي يعمل على تعرية العواطف في خلق النص الشعري، كما تناول البحث الرثاء وألم الذاكرة، وما يمكن تولده عاطفة الرثاء من صدق في الشعور وتراسل المفردات التي تعمل على تكثيف المعاني، وهذا من مسلمات الشعر الوجداني، الذي يستقي مادته من الموضوعات التي تتعالق مع العاطفة.

الكلمات المفتاحية: الفقد، الشرقاط، ثنائية، الحضور، الغياب

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصبه الطيبين الطاهرين، وبعد:

الشعر آلة الانسان وجوديا يستدعيه متى ما ألمّ به خطب، ليعبر عن مكبوتاته النفسية والجودية، ويعد الفقد موضوعا جوهريا في التجربة الانسانية ، وما جُبلت عليه النفس البشرية على التعاقب في توالي الاجيال عبر الزمن وما يمكن أن يشتمل عليه ارتباط النفس البشرية بكل مظاهر الحياة التي تنتمي اليه، وما يشكله فقدُ هذه المظاهر واستلابها، من انكسار وشعور بالخسران، تتجلى في سلوكيات الفاقد لتتوج بالعواطف والانفعالات للشخص العادي ، لا سيما اذا كان شاعرا؛ لأنه ينعكس بوضوح في الشعر بوصفه حقلا تعبيريا يختزن العواطف والافكار العميقة، ويستقطب الافكار التي تحرك المشاعر.

و تكمن أهمية دراسة شعر شعراء الشرقاط في السياق النقدي، باعتباره نصا مفتوحا للتأويل، تتداخل فيه الأصوات والخطابات، وتنعكس عبره التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي شهدها زمن الشعراء، ولهذا، فإن دراسة اي نص شعري لا تقتصر على تحليل الجماليات الأسلوبية فحسب، بل تمتد إلى قراءة خلفياته المرجعية والتاريخية والبحث في مضامينها، مما يثري الفهم النقدي للنصوص، وانطلاقا من هذا المضمار فإن النص الأدبي للشاعر ليس مجرد إرث لغوي، بل هو مساحة لتفاعل الأنا والآخر، الماضي والحاضر، الذات والمجتمع، وهنا تنبع أهميته الأكاديمية والثقافية، باعتباره مرآة للوعي الإنساني وسجلا حيا للذاكرة الشعرية، فكل هذه

المعطيات دفعتني لدراسة شعر شعراء الشرقاط لما تتمتع به هذه المدينة من ارث ثقافي ثر، وتاريخ ممتد، انعكست هذه البيئة على فكر شعرائها.

وقد اقتصرت دراستنا على بعض الشعراء مراعاة لطبيعة البحث، الذي توزع على مبحثين الاول منهما: ثنائية الحضور والغياب، والثاني منهما: الرثاء وألم الذاكرة، فضلا عن الخاتمة، وثبت المصادر والمراجع باللغة الانكليزية.

الفقد لغة: من (فَقَدَ الشيء يفقِده فَقْدا وفِقدانا وفُقودا، فهو مفقود وفقيد: عدمه؛ افقده الله اياه. والفاقد من النساء: التي يموت زوجها أو ولدها أو حميمها)(ابن منظور، مادة: فقد، ج٣، ٢٠٠٣م، ص٣٣٧)، وجاء في المعاجم العربية المعاصرة من (فقد الشيء ضاع منه وغاب عنه... فقد الشيء: خسره وعدمه: فقد شهرته/ وظيفته/ حظوته)(عمر، ٢٠٠٨ص ١٧٢٨)، لذا فهو يشير الى الخسران بشتى اشكاله، وما يمكن أن يولده من استفزاز للعواطف في شحن الحواس بمنحة ملتهبة شديدة الهيمنة للتفاعل مع لحظة التجرد واستلاب ما كان يملكه الفاقد، شخصا او وطنا او ارضا، كان يمثل له شيئا وجوديا(سالم، العدد٢٧، ج١، ٢٠٢١، ص١٩).

الفقد اصطلاحا: يحضر الفقد في الشعر بأشكال متعددة تحمل مضامين التجربة الشعورية سواء كان فقدانا وجوديا يتمثل (بالموت، والغياب، والانفصال) ام فقدانا معنويا يتجلى (بالحرمان ، والحنين ، والذكرى)، فكلها بواعث تفترض اشتغالا شعريا يعكس التجارب، فهو (اشارة مباشرة الى حزمة من المعاني والمفاهيم التي تقود الى العزلة النفسية والفكرية والجسدية معا)(الهاشمي، العدد: ٤٥، المجلد: ٢، ٢٠٢٢، ص١٢٦)، وهذا ما يوجه بوصلة اللغة الى اختيار المضامين المشعة والبارزة لخشية الموت والهلاك ومحاولة الهروب منها على جسد النص؛ لان (التعبير عن هزيمة الموت والافلات منه فيه بواعث حثيثة على التطلع للمستقبل سواء كان مستقبل الشاعر او مستقبل وطنه او امته او قصيدته، او بعض اهدافه واحلامه، فلا بد من لحظة اضافية لتوديع كل من له ذكرى مع الشاعر)(شادو، ، ٢٠١٣، ص٨٩)، فتغدو هذه اللحظة الشعورية المكتنزة بالزمان والمكان لحظة احضار واسترجاع للمحطات الحياتية بفعل عامل الفقد والانكسار، وبالتالي تساهم هذه المضامين في تشكيل البنية الجمالية للنص، بوصفها عوامل تعمل على تعرية الموضوعات واعادت تقديمها بطريقة فنية جمالية؛ لان الذي يحرك النص هو (التأثيرات الضاغطة والتي تعني اللغة الشعرية ومدى استيعابها... فالنزول مع النص الشعري هو النزول الى فكر الشاعر، وإن الفصل ما بين لغة الاثر الشعرية هو الذي يحدد نوعيته، وألا يكون بمعزل تام عن الاخر الذي يشارك الذات الشاعرة في عملية الخلق)(محمد، ٢٠١٧ ، ص ١٤).

ويمكن ان ياخذ الفقد في شعر شعراء الشرقاط عبر (ثنائية الحضور والغياب)، وما يمكن فيه ان تحضر الذاكرة امام تداعي الفقد وغياب التفاعل، فضلا عن (الرثاء ونشيج الذاكرة) وما يمكن ان يولد شعورا بالخسران في فقد الاحباب والاقارب .

المبحث الاول: ثنائية الحضور والغياب: إذ لا شك أن الشعر جنس ادبي فني يشتمل على ثنائيات مختلفة، منها الثنائية بين الحضور والغياب، التي قد تكون الاكثر شمولية لاحتوائها على مفاهيم مختلفة ، تخدم عملية توظيف المضامين، إذ لا يمكن للشيء أن يحضر ويغيب في آن واحد، كما في دلالته المعجمية التي تفضي أن الحضور (نقيض المغيب والغيبة)(ابن منظور، مادة: حضر، ج٤، ص١٩٦، والرازي، ١٩٩٩، ص١٦٧)، اي نقيض الغياب في كل شيء.

وهو ليس بعيدا عن دلالته الاصطلاحية فيفترض (كل حضور، نقيضا ، وهو(الغياب) ، مما يسمح بموضوعه بمفهومية لحضور الوعي / غياب الوعي / غياب التاريخ في نص ادبي ما)(علوش، ١٩٨٥ ، ص٦٨)، فيتشكل هذا التناقض ماديا ومعنويا؛ لان ما غاب ماديا فهو حاضر معنويا في الذاكرة الجمعية، وعلى هذا الاساس فان تحليل النص الادبي لا سيما الشعري يتعرض لثلاث مراحل (اولهما يتصل بالمظهر اللغوي للنص، والثاني بالجانب النحوي بالمعنى الشامل لهذه الكلمة الذي يتضمن علاقات الحضور، والثالث بالجانب الدلالي الذي يمس بطبيعة الحال علاقات الغياب)(فضل، ٢٠٠٧، ص٦٧)، كون عملية توظيف المضمون تعتمد على عملية فنية تقع بين الظهور والاختفاء ليشارك القارئ ملء الفراغات والتجاويف اللفظية لتحقيق الجانب الجمالي الذي ينشده الشاعر؛ لأن (العناصر الغائبة لا تشكل خللا في بنية النص؛ بل على النقيض تشير الى حضور قوي يقع على القارئ ومتلقي النص مهمة سبر اغواره، والكشف عن مغاليقه، والبحث فيما وراء الكلمات)(ابو شاويش، العدد١٢، ٢٠١٧، ص٣).

فمن الجدير بالذكر أن عملية الكشف عن المضامين ليست احادية الجانب، بل هي عملية تكاملية، فما يخفيه النص قد يكون اكثر قصدية واهمية من آلية اظهاره؛ لان الغياب في النص هو (نتاج فعل القراءة الواعي بإمكانات الغياب ودلالاته في النص)(عبد الله، العدد٢١، ٢٠٠١، ص٢١٥) لذا يخلق الشاعر توازنا بين هذه القوى المتناقضة، مما يعكس صراعا داخليا يتمثل في رغبة الشاعر في التمسك بشيء ما، وبين فقدان الأمل في استعادة هذا الشيء، هذا التفاعل بين الحضور والغياب يمكن أن يؤدي إلى خلق فضاءات شعرية مليئة بالهشاشة واللايقين، مما يعزز التعبير عن الانفصال عن الواقع والبحث عن استعادة تكوينه، من ذلك قصيدة (وتسأل الدار):

وكان ما كان لا صوت يقول هلا

للعائدين... ولا للراحلين كفى

لما مشينا ... مشينا نحو مغربنا

ومشرق الدار يبكي وحده اسفا

لا تسألوا الدار خلوها لدمعتها

حيطانها... سقفها.. الكل قد رجفا (سعيد، ٢٠٢٤، ص٥١)

إذ أن البعد النفسي هو من يحدد سياق المفردة ويلبسها رداء الحياة، فالشاعر يستنطق الجمادات ويتكلم عن حالها، تعبيرا عن انفصال عناصر الحياة فيما بينها، فالصور التي يستدعيها الشاعر لحظة انكساره لا تعمل على تحسين الشكل واناقته، بقدر ما تاتي لدعم المضمون، وجعله اكثر تفاعلا مع الذات المتلقية كما كان مع الذات المنتجة، فتصبح لها وظيفتان ، احداهما: شكلية اغرائية تستدرج القارئ الى رحاب النص، واخرى: موضوعية وما تحمله من احاسيس تكشف عما وراء هذا الحضور ، بوصفها آلية لازمة تمنح الشاعر القدرة في اختراق شعور المتلقي(محمد، ٢٠١٧، ص ٢٤)، وبالتالي تفرض على المتلقي الوقوف في سبل الكشف عن الانزياحات التي ولدت الفكرة والعلاقات السياقية.

فالنص يعكس بشكل واضح ثنائية الحضور والغياب، إذ أن الشاعر يوظف هذه الثنائية لخلق توتر وجداني ورمزي يتجسد في الكلمات والصور الشعرية المفعمة بالغياب والفقد التي يحملها، ليعكس غياب الحضور، أي غياب الحياة والتواصل، الذي يتكئ على التأويل في استنطاق المفردات استنطاقا غرائبيا؛ لان (خاصية المعرفة ليس في الرؤية ولا في البرهان ، وانما في التأويل)(فوكو ، ٢٠١٢، ص٥٦)، فغياب الاصوات مرتبط بغياب العائدين ورحيل الحاضرين، وهذا ما يكشف عن التوتر بين الحضور والغياب وتجسيد حالة الصراع الداخلي بين الحنين إلى الذين رحلوا وبين تقبل الواقع المرير لغيابهم، الذي ينعكس على المكان والزمان بوصفهما شاهدين على هذا التضاد فيظهر مغرب الشاعر كرمز للحركة والرحيل بينما يُشار إلى المشرق كرمز للثبات والدموع، ليمثل المغرب الحضور الفيزيائي المرتبط بالسعي نحو الهروب أو التغيير، بينما (مشرق الدار) هو الحضور العاطفي المعكوس، حيث أن الدار في الشرق لم تعد قادرة على تحمل الغياب، فيحضر البكاء دلالة على وجود الذكريات الحزينة التي كانت تملأ المكان بالحياة، إن التباين بين المشرق والمغرب يعكس التباين بين الماضي والحاضر، بين ما كان وما اصبح عليه.

فالنص يعمل على وتر الحضور والغياب، حيث يظهر الحضور في الصور المرتبطة بالأماكن والعواطف المفقودة، بينما يعكس الغياب من خلال الخوف من الفقدان والدمار الذي يعقب ذلك، من خلال الصور الشعرية والتناقضات بين الحضور والغياب، حيث يبني الشاعر نصا يعبر عن مأساة الفقد وعواقب الغياب، فيكشف عن تجربة شعرية عميقة ومؤثرة تمزج بين الواقع العاطفي والوجودي الذي يفصح عنه قوله:

وكان ما كان .. اهل الدار قد رحلوا

فكل نافذة تستنطق الغرفا

وكل باب الى الاحزان منفتح

والف صمت كئيب ههنا وقفا

يا دار... والصيف قد ألقى حدائقه

كيف الحديقة؟ ماذا اهدت الشرفا

كيف النجوم ، نجوم الصيف هل تعبت

من الرحيل؟ وهل وجه السماء صفا

وكيف اشجارنا ؟ كيف الضياء بها؟

ومن سقى العنب الظمآن ؟ من قطفا

كيف الطيور؟ وهل تأوي لمنزلنا

كيف الظلال؟ ومن تحت الظلال غفا؟(سعيد، ٢٠٢٤، ص٥١)

إذ لا شك ان الجمالية هي الوجه الاول في عملية الابداع الشعري، فيدرك الشاعر ما بهت ادراكه عند المتلقي قبل عملية الانتاج الشعري، فيصبح همه في أن يبقي اللغة متوفرة ومرتبطة بحيوية الحدس وكأنها الموجات التي لا تهدأ لحظة التخييل(محمد، ٢٠١٧ ، ص ٤٨)، لذا ينتقل الشاعر الى مشهد السكون بعد الرحيل، وهو الذروة التي تصطدم بها ثنائية الحضور والغياب، غياب الحياة وحضور الذاكرة الممتدة في تجربة الشاعر التي انعكست نفسيا على عناصر الطبيعة والمكان، المدعوم بالاطار الزمني، وذلك (في بعض الاحيان نعتقد اننا نعرف انفسنا من خلال الزمن، في حين أن كل ما نعرفه هو تتابع تثبيتات في اماكن استقرار الكائن الانساني الذي يرفض الذوبان)(باشلار، ١٩٨٤، ص٣٩) ، ما دعاه الى استنطاق الدار كفضاء رمزي يعكس التجربة الإنسانية المعاشة في مواجهة الفقد والرحيل وغياب عناصر الحياة التي يلحّ الشاعر بالتساؤل عنها حتى الهلع، فالفقدان في هذه القصيدة يتخطى غياب البشر ليشمل غياب المعنى الذي كان يُستمد من هذا المكان، مما جعل هذه العناصر (الصيف، النجوم، الحديقة، الاشجار، الطيور) تجنح نحو الغياب طالما فقدت الفاعلية بها برحيل اهل الدار عنها، وسيطرة الفراغ على اركان المكان، فالشاعر عندما يستمد رموزه من الطبيعة يخلع عليها عواطفه ما يجعلها تكتسي بالإيحاءات التي تعبر عن ذاته وفق بيئته وثقافته الريفية(بلاوي، العدد٢، السنة ١١، ١٤٣٦هـ، ص ١٨٧) ، التي تصالح الموجودات وتؤنسن الجمادات عبر خطاب عاطفي يفجر كوامن الفقد نتيجة الغياب.

وقد تتجلى هذه الثنائية في حضور العاطفة التي تكشف عنها سوداوية الواقع، حتى اصبح وجود الموت امرا مألوفا تتفق البيئة المكانية على ترويضه كما يقول نضال العياش في قصيدة (قمح الثورات):

يا موطني حتى متى تمشي الحياة غريبة

والموت فيك مواطن ؟

يا موطني المنسي في المتن القديم ..

نموت فيك ..

وانت موت فاتن! (العياش،٢٠٢٣، ص٨٧)

كأن الموت اصبح فردا من افراد الوطن فصاحبوه ورافقوه ، لكثرة حضوره ، حتى صاروا يتغزلون فيه ويألفونه لكثرة حضوره بكيفيات متعددة ، وهي مفارقة في الانكسار وقبول الفقد، وهنا تكمن براعة الشاعر في تقديم البؤس والفقد بشكل فني يتمتع بالحيوية الجمالية التي تتجاوز الجوانب المعنوية، الغياب هو استحضار للذاكرة وتفعيل العواطف، بمعنى ان هذه الثنائية تعمل على التنافر والتوارد العكسي ، فمتى ما غاب الضد حضر الضد الاخر، مع الاستمرارية في الجدلية ، من ذلك قصيدة (عمتي زهية):

اقترب الفجر

اقترب الفجر

وكأني اسمع خفقك يأتي كصفقة خبّازة..

افتح نافذتي

هلهولتك السمراء تعاودني..

لكن لا ابصر الا اصداءك في هذا الحزن الماطر.. (العياش،٢٠٢٣، ص ٩٢-٩٣)

يعمل التكرار على التركيز في حالة الشاعر لحظة استحضار العاطفة التي تجلت بتذكر الغياب والفقد، حتى اصبح الزمن شريك في تداعي المشهد وانتظاره ، تلك اللحظة التي تولد الحضور والغياب في آن واحد ، حيث حضور الذاكرة وغياب الواقع عبر قوله (وكأني اسمع ..) ، تلك العبارة التي تستدعي الغياب واثارة ذاكرة المتلقي في احضار المشترك الثقافي (صفقة خبّازة) ، كلحظة حلم واستدراج الوعي لقبول الواقع وبيان حقيقته عبر (افتح نافذتي)، النافذة بين الوعي واللاوعي ، بين الغياب والحضور الذي يستدعي الاهازيج المذابة في لحظات الفقد، وتواري الغياب في تشكيل هلامي ينقر في الذاكرة فيشعل فتيل العاطفة المكتظة بالحزن والعويل حيث الحضور والغياب في قوله:

حين تقاسمنا انتِ وانا..

اخر دمعة تبقت لدينا

دمعة الخائف أن يرحل..

ودمعة الخائف أن يبقى (العياش،٢٠٢٣، ص ٩٣)

هنا يتشكل الموت في العاطفة وهي القاسم المشترك بين الحاضرين الغائبين ، لتصبح الدمعة الاولى: النشيج الاخير واللحظة التي تختزل الغياب وما يمكن ان يحمله من فقد للحياة بكافة مظاهرها، وفي المقابل الدمعة الثانية ، دمعة البقاء والحضور الفارغ بعد رحيل من يشعل الحياة ، فيصبح الحضور عبثيا طالما فقد معانيه بفقد من يحب وامتثل للزوال ، فهي عملية جدلية بين الذات الحاضرة من جهة، والاخر الغائب من جهة اخرى، حتى يبدو

الوعي بتوتر واضطراب يتسم بالطابع الدرامي في توظيف المضمون(ادهم، المجلد ١٤، العدد٤، ١٩٩٢، ص ١٠).

وقد يشتغل الفقد على وتر البحث عن الوجود ، وجود الذات في ظل اللامكان وضياع الهدف، حتى تغدو الشخصية تراوح العبثية والشحوب كما في قصيدة (الوجه الاخر للحزن):

قمر يغيب وشاعر جوال

وربابة منها الاسى ينثال

فحكايتي ان الدروب طويلة

وحكايتي ان الوصول محال

سفر انا... ما ان وصلت لنقطة

حتى تجدد في دمي الترحال

رحال تأخذني الدروب الى متى

ومتى لنا مما نريد نوال (الحميدي، ٢٠١٤، ص٣١)

تبدأ الأبيات بعبارة (قمر يغيب)، وهي إشارة إلى الغروب والغياب، وهو غياب رمزي مرتبط بالفقد، وهو ما يشير إلى الظلام أو الفراغ العاطفي الذي يعقب غياب التفاعل، وفي المقابل يحضر الشاعر الجوال، الذي يمثل الحضور الفعلي، لكنه حاضر في حالة من التيه والترحال المستمر، هذا الحضور لا يُفضي إلى الاستقرار، بل هو حضور متقطع، يشير إلى الاغتراب الداخلي والشعور الدائم بالضياع، ولدته الاوتار، التي تحمل دلالة تواصله الدائم مع الألم، بوصفها ثيمة ثقافية تقترن بالألم والوجع، وتعمل على تكثيف طابع الحزن تطهيرا للذات وتأسيا لها في الوقت نفسه ، وهذا ما يولد احساسين متضادين: احساس بالتشبث بالمكان المتشظي مع الذات ، يقابله احساس اخر بغيابه ، مما يفرض عليها حالة من الاغتراب الوجودي الذي تعالجه في البحث عن هويتها التاريخية والاجتماعية ورسم الانساق الثقافية (الفتياني، المجلد١١، العدد١، ٢٠١٤، ص١٣٣) ، مما يعزز من فكرة أن الحضور مرتبط بالمعاناة المتجددة، وأن غياب الارتياح أو الاستقرار هو حضور دائم.

إذ تبقى الذات في تشتت وضياع بين ثنائية الحضور والغياب ويصبح الشاعر في حالة بحث مستمر عن هدف أو نقطة وصول، تتجاوز الحيز في النص الشعري فيصبح (الفضاء الامثل التي تنهل منه عملية الابداع لدى الشاعر تصورتها وشعورها ، وذلك عبر عملية تجادل بينه وبين الذات)(عقاق، ٢٠٠١، ص٢٧٩)، لذ يتساهل الشاعر عن الهدف بنبرة المستسلم (ومتى لنا مما نريد نوال) وهي غياب فلسفي للمعنى؛ لأنه يتساءل عن المصير والغاية، ليعكس شعوراً باللامبالاة أو الخذلان الوجودي، حيث أن كل محاولة للوصول إلى النوال أو الهدف تُقابل بإحباط دائم، وهو ما يعزز من فكرة الغياب الدائم للأمل والقدرة على الوصول؛ لأن (المرئي قد

يكتسب حضورا ظليا ويدخل فعليا في عالم الغياب وفي هذه الحالة تتحول لغة الحضور الى لغة للغياب)(ابو ديب، العدد٥، ايار ، ١٩٨٩، ص٩).

المبحث الثاني: الرثاء وألم الذاكرة: الرثاء في الأدب هو تعبير شعري ويعد أحد ألوان الأدب الذي يُستخدم للتعامل مع الحزن الوجودي، في أعمق معانيه، يعكس التحولات النفسية والفكرية التي يمر بها الفرد بعد فقدان الأحبة، حيث يتناول الزمن، والفقد، والحياة والموت، في قالب من التأمل العاطفي والفلسفي؛ لأن الانسان مهما كان لا بد وان تكون لديه النزعة الفطرية التي تهيج اشجانه على الفقد(علي، المجلد ٣٢، العدد٦، ج١، ٢٠٢٥، ص٣٥)، ولا يقتصر فقط على إظهار الألم، بل يهدف أيضا إلى تكريم الراحل من خلال تخليد ذكراه ادبيا، مع التأكيد على ديمومة أثره في الحياة، حتى بعد غيابه الجسدي، لذا يشكل العامل الزمني وحدةَ شحن لتشكيل العواطف وشحنها؛ بوصفه الافق المتعالي الذي يُنظر منه الى السؤال عن الوجود في ظل المتغيرات الحياتية(السمطي، ١٩٩٧، ص ٣٢).

ورثاء الشخصية هو دليل على عمق التواصل الحميمي والاجتماعي بين الطرفين فيظهر الرثاء بموجب الاعتراف بعمق العلاقة وخسران احد عناصر الحياة، كما في قصيدة (سفر على ضفاف الفرات) للشاعر سعد جرجيس سعيد في رثاء الشاعر محمد حكمت الالوسي:

وكنت تموت بأعلى الفرات

فتظلم دجلة

وتذبل في الفجر نخلة

وتجفل بغداد ..

توقظ اشجارها

وتبكي بليل انتظارك طفلة

فما أعظم اليوم قتله! (سعيد، ٢٠٢٤، ص١٢٧).

فالرثاء في هذه الأبيات يعكس ألم الفقد وحجم الفراغ العاطفي الناتج عن موت شخصية عظيمة في ذاكرة الشاعر، فيجمع بين الرثاء الفردي والرمزية الجماعية، ما يعزز من شدة التأثير والحزن، حتى نجد أن الشاعر لا يقتصر على تصوير الفقد الشخصي، بل يربط الموت بمجموعة من الرموز الطبيعية والجغرافية التي ترتبط ارتباطا عميقا بالذاكرة الجمعية للأمة، حتى اصبح الشاعر يتكلم بلسان الارض؛ لان (التماهي المطلق بين الذات ورمزية الأرض، قد يذهب إلى حد بعيد، عندما تصبح الذات حالة محل الأرض، ونائبة عنها، عندئذ تستعير منها كل الصفات المميزة للأرض باعتبارها مكان)(المساوي، العدد:١٠، ٢٠٠٤، ص٢٥).

ثم ينتقل الشاعر الى دفع عجلة المشهد الى بؤرة الالم: (وتبكي بليل انتظارك طفلة) وهذا اشد ما يكون في التعبير عن الفقد، عبر استحضار الصورة العاطفية المشحونة بالنشيج عبر الرموز التي تحملها، فالطفلة تشكل في الثقافة الجمعية رمزا للضعف والبراءة، لاسيما اذا اقترنت بالبكاء نتيجة الفقد والغياب، في حين أن الليل يمثل الضياع والتيه، فكأن مشهد الغياب ، في ذاكرة الشاعر، يُختزل في الطفلة التي فقد ابيها وهي تفرش الليل انتظارا به فلا يؤنسها الا البكاء، فأخذت تصرعه دهشة الرحيل والالم بقوله : (فما أعظم اليوم قتله !) وهي صرخة وجودية؛ لان الشاعر لا يرى الفقد مجرد حدث شخصي، بل هو حدث كوني يغير الأبعاد الزمنية والمكانية، والاجتماعية، الحدث الذي تجلى نتيجة تكرار الفواجع بفعل الحروب ، حيث تنشط الذاكر لتعيد المسارات المتراكمة، لا سيما وان الحرب (من العوامل المثيرة للعواطف، فهي تحرك الوجدان بمظاهرها ، وتلهب المشاعر بأحداثها وتذيب النفوس بآثارها ونتائجها)(الجندي، ١٩٨٩، ص٦٣).

فالشاعر أشدّ عاطفة على احياء لحظة الفقد والفراغ، وهو الذي تجره القواسم المشتركة بينه وبين الموجودات ارضا ورفيقا على استدعاء المشاهد الانسانية، وتجبره الذاكرة على ولادة النص، فيطهر ذاته من تراكماتها العاطفية والوجدانية ، فيغدو تمثيل هذه الانفعالات على جسد النص مثابة التعلل والتأسي، من ذلك قصيدة (اغنية الغريب)، للراحل احمد محمد الحميدي وهو يرثي صديقه سعد الرواز:

مملوءة بالاسى جاءت اغانيه

ودمعه فاضح ما كان يخفيه

وكان من حزنه أن في دماه صدى

أصوات من غادروا ظلت تناديه

وكنت أدريه مثلي كان يُشبهني

ما غادرت خطوه أيام ماضيه

لما ذكرتُكَ فاض الشعر وانفجرتْ

دمعا غزيرا على الذكرى قوافيه

ان نام جرحي يد الذكرى ستنكأه

فكيف يا صاحبي جرحي أداويه(الحميدي، ٢٠١٤، ص٤٧-٤٨)

فالشاعر يصبح اسير القافية التي تولدت عن فكرة القصيدة، فصارت المفردات تضج بالحنين لتعبر عن صدق الشعور ، وصدق العبارة، وهذا اشد ما يكون في الرثاء حيث الصدق في توليف العاطفة، واظهار عمق الفاجعة، وبيان الوفاء لمن رحل كما يرى الجاحظ (الرثاء يدل على وفاء الشاعر لمن رحل عن الدنيا ، فهو بهذا يُعلّم مكارم الاخلاق ، اضافة الى ما يذكر من محاسن الراحل، وبهذا يكون أبعدَ اثر بسبب صدق العاطفة)(السعدي،

٢٠١٠، ص٢٣٠)، ما يجعل الالفاظ تنساب ببساطة دون تكلف من الشاعر ، وهي تحمل معانيها المشبعة بالنشيج، فيتحدث الشاعر عن عاطفة الراحل التي تمتلئ بالحزن فيفضحه الدمع على فراق من فقدهم وتعلقه بالماضي، وهذا ما يمثل التكوين النفسي لعاطفة المفقود، هي من ابرز سمات الرثاء، فيريهم في فقيدهم أسمى صور الكمال، التي تثير فيهم عاطفة الاعجاب والحزن الممزوج بخسارة المفقود، فيدفعهم الى بكائه اعجابا بما يمتلك من صفات حزنا واسفا وحسرة على فقده(بن جعفر، ١٩١٢، ص ١١٨)، حتى صارت الذاكرة تشحذ القوافي لتوقظ العاطفة، فيغدو الفقد جرحا مستمرا متى ما خمدت جذوته احيته شعلة الحنين والاشتياق المتصلة بالزمن؛ لان الزمن يرتبط بالشاعر جوهريا، وله علاقته الوثيقة بالعالم الداخلي للانطباعات والانفعالات والافكار(السمطي، ١٩٩٧، ص ٣٢)، التي تتنامى لتشكل ايقونة في لغة الشاعر فتنعكس على توجهه الوجودي اتجاه الحياة وتطلعه للمستقبل ، تلك الرؤية التي تنبثق عن خساراته المتكررة في خضم الاحداث التي وعاها ، فتجعل منه انسانا يعتاش على حتمية الموت؛ لأنه (بقدر ما ينبغي علينا أن نعزو لكل حياة شكلا من اشكال الوعي ينبغي علينا أن نعزو لها ايضا ضربا من اليقين الحدسي بالموت)(شورون، ١٩٨٤، ص٢٠)، التي تتعزز نتيجة الشخصيات التي واكبها الشاعر وانفرطت عنه، فيصبح هاجس الموت يرافقه كلما فقد صاحبا، لا سيما وان الحروب من اقوى المظاهر التي تثير الشعراء كما يرى ابن سلام : (انما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء نحو الاوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ، ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف)(الجمحي، ٢٠٠١، ص١٠٠-١٠١).

ذلك أن ذاكرة الشعراء اشدّ ما تكون وطأتها حين تفتح مسار الغياب ، فيتجلى الحنين مولدا انفعالات صادقة، تشكل لغة مجازية تعكس الفراغ الداخلي والحسرة المكبوتة، فيلغي الحدود المنطقية والسببية بين الواقع والحلم، بين الموت والحياة، وبين الحضور والغياب، مما يجعل من الفقد عاطفة شعورية وفكرية متداخلة، تتجاوز البُعد الشخصي لتصبح انعكاسًا لكل إنسان يواجه الغياب والفقد ، من ذلك قصيدة (وكل ما غرست كفاي بي كفرا):

كانت عَتَاباتك الخنساء لي قدرا

ترمي من الحزن ما يكفي لانتحرا

أجريت اشراقك المذبوح في لغتي

فصرت ضوءا ولكن لم أصر قمرا(العياش، ٢٠٢٣، ص٥٧).

يستحضر الشاعر الشخصية المفقودة، ويستحضر معها الغياب الذي كان يسكنها في تعلقها بالماضين وبث الحنين لفقدهم عبر لون من ألوان الشعر الشعبي (العتابة)، الذي يمتاز بلغته العاطفية التي تأخذ بشغاف القلوب لترمز الى فكرة واحدة وهي تأبين الماضين واستدراج مناقبهم، تلك العلاقة التي تكشف عن الجانب الدلالي والمعجمي للمفردات التي تؤدي بالضرورة الى دعم بناء النص واعادة تأكيده ، ويخدم الجانب الدلالي والتداولي

فيه، الامر الذي يفرض تآزره ما بين الجانب المعجمي للنص، وسياقة الخطاب، مما يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة(بوجراند، ١٩٩٨، ص٣٠٦)، فتصبح (العتابة)، وفق مفهومها التداولي، قدره الذي يحمله بوصفها الحكمة المستخلصة للفقد، التي: (ترمي من الحزن ما يكفي لانتحرا) ، فيقدم لنا صورة عن عمق الحزن وما يشكله من حالة كونية تشبه الانتحار ، فيتحول الفقد إلى فعل شعري يعكس انهيار الذات، وهي حالة من التشظي الداخلي أمام استحالة التحقق من الوعود التي تعلق عليها الذات الشاعرية آمالها، كما في قوله:

لكنني صرت للماضين زاوية

قالوا لشاعرهم آتون فانتظرا..

ولم يجيئوا وظل الوعد يسكنه

حتى اذا غاب جاء الوعد معتذرا

وطافت الحرب صوتا في ربابته

حتى اذا صاح أنّثْ في سداه قرى(العياش، ٢٠٢٣، ص٥٧).

فالشاعر يكشف عن انكساره العاطفي الذي خلفه الفقد ، حيث يتحول إلى زاوية من الحنين ، في الزمن والمكان، حاملاً في داخله وعودا قديمة، ينكسر انتظارها بفعل الغياب الابدي والتحول الانفعالي ، فيخبو افق اندفاعه في تطلعه للإياب الى استسلام منكسر يضج بالعويل والندم، فيعمق الإحساس بالفقد إلى مستوى تاريخي وجغرافي، فالحرب ليست حدثا خارجيا ملموسا فحسب، بل هي صوت داخلي يملأ الفراغ بعد الفقد، فالصوت الذي كان يُمثل الأمل قد تحول إلى (أنين) يفرض عاطفته على المحيط، ويجعل من الفقد في ذاته موازيا موضوعيا للحرب واضرارها الكونية ، التي تضاعف الألم وتوسع دائرته، فيغدو الشاعر ناقلا لتجارب المفقود ومتاثرا بها ليورثها بفعل المشتركات العاطفية، ذلك أن اللغة فعل تواصلي تُكشف بواسطته المضامين المكبوتة والافكار المتوارثة عبر اللاوعي الجمعي الذي يختزن في ذات الشاعر ويطفو على سطح النص، بحركة انفعالية فجائية (حتى اذا صاح أنّثْ) فيحول المكبوت الى مرئي يجمع المتضادات؛ لان العناصر المتباعدة تعكس طبيعة تماهي الاشياء عبر وصف الاشياء المحسوسة لا من حيث هي واقعة في المكان، بل من حيث هي واقعة في النفس ومدى تاثيرها ومدى ما تستثيره فينا من وحي داخلي(شادو، ٢٠١٣، ص١٠٠).

فالشاعر لا يرثي الشخص المفقود فقط ، بل يرثي الزمن الذي غاب ، والتاريخ الذي لا يزال يصر على الوعود الخائبة، متخذا لغة رمزية مكثفة يكشفها السياق الثقافي الذي يتكئ على لغة الحرب والموت على مر الزمن، وذلك من منطلق (ان الموت هو قبل كل شيء حالة ثقافية خاضعة لمختلف المرجعيات التي اكتسبها الانسان على امتداد العصور)(المساوي، العدد:١٠، ٢٠٠٤، ص٥٧).

الخاتمة:

١- يعد الفقد أحد اهم البواعث الشعرية التي تفترض لغة خاصة، تدفع بالبوح الشعري الى الحضور، إذ تتأرجح انفعالات الشاعر بين ما كان وما هو كائن، وهذا الاضطراب يولد توترا عاطفيا يغزو مخيلة الشاعر بالحنين.

٢- تعمل ثنائية الحضور والغياب على كشف المكبوتات من خلال توارد الشيء وضده، فهما بُنيتان تؤسسان للعمق الشعري، وتُعبران عن حركة المعنى وتداخل الشعور والوعي، ما يجعل النص أكثر انفتاحًا على تعدد القراءات واختلاف التجارب الإنسانية.

٣- يمثل الرثاء وألم الذاكرة في النص الشعري تجليين حميمين لتجربة الفقد، يُستثمران لإعادة تشكيل العلاقة بين الذات الشاعرة والزمن، والمكان، والآخر الغائب، ويتحولان من موضوعات شعورية إلى بُنى فنية ودلالية تُمكِّن الشعر من التعبير عن أعقد التجارب الإنسانية وأكثرها وجعا.

٤- تبقى الذكرة الاجتماعية احد ابرز المحفزات على استنطاق اللغة وتوليف النص الشعري على المستوى المناطقي، لا سيما لدى شعراء الشرقاط؛ لما تتمتع به هذه المدينة من ارث ثقافي واجتماعي ممتد عبر عصورها الحضارية والتاريخية، الذي انعكس على لغة شعرائها ومعجمهم الشعري.

References:

- **Poetic Specters**, Abdullah Al-Samti, Supreme Council for Culture, Beirut, 1997.

- **Strategies of Absence in the Poetry of Saadi Youssef (An Intertextual Approach)**, Sayyid Abdullah, *Alif Journal*, The American University in Cairo, No. 21, 2001.

- **I Love You Like This**, Nidal Al-Ayyash, Ru'aa Publishing and Printing, Iraq, 1st ed., 2023.

- **Love Is Our Last Chance**, Saad Jirjis Saeed, Shams Publishing and Media, Cairo, 1st ed., 2024.

- **Difference and Linguistic Suppression**, Sami Adham, *Contemporary Writings*, Lebanon, Vol. 14, No. 4, 1992.

- **Representations of Solitude and Loss in the Novel *Alley of Skulls*: A Psychonarrative Approach**, Shakir Ajeel Sahi Al-Hashimi, *Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences*, No. 45, Vol. 2, 2022.

- **Presence and Absence in the Poetry of Abdul Nasser Saleh: A Study of the Collection *Cities of Presence and Absence***, Azhar Ataya Abu Shaweesh, *Al-Mujamma Journal*, Haifa, Palestine, No. 12, 2017.

- **The Poetics of Space**, Gaston Bachelard, trans. Ghalib Halasa, University Institution for Studies and Publishing, Beirut, 2nd ed., 1984.

- **"The Multiple Forms of Fear in the Poetry of the Hudhayl Tribe – A Descriptive Study,"**
Shihab Ahmed Ali, *Tikrit University Journal for Humanities*, Vol. 32, No. 6, Part 1, 2025.

- **Aesthetics of Death in the Poetry of Mahmoud Darwish**, Abdel Salam Al-Massawi, *Thaqafat Journal*, College of Arts, University of Bahrain, No. 10, 2004.

- **Studies in Literary Criticism**, Salah Fadl, Dar Al-Kitab Al-Arabi Publications, Damascus, 2007.

- *(Repeated)* **Studies in Literary Criticism**, Salah Fadl, Dar Al-Kitab Al-Arabi Publications, Damascus, 2007.

- **The Significance of the City in Contemporary Poetic Discourse**, Qadah Aqaq, Arab Writers Union, Damascus, 2001.

- **The Significance of Death in Contemporary Arabic Poetry: A Textual Study of Mahmoud Darwish's *Mural***, MA Thesis, Muhammad Shadou, Supervisor: Adel Mahlu, Faculty of Arts and Languages, University of Hadj Lakhdar – Batna, Algeria, 2013.

- **Self and the Dialectic of Presence and Absence: A Semantic Reading of the Word "Name" in the Poetry of Mahmoud Darwish**, Suhail Abdul Latif Al-Fityani, *University of Hadhramout Journal of Human Sciences*, Vol. 11, No. 1, 2014.

- **Natural Symbols and Their Meanings in the Poetry of Yahya Al-Samawi**, Rasool Balawi & Hussein Mohtadi, *Journal of Arabic Language and Literature*, Persian Gulf University, Bushehr, No. 2, Year 11, 1436 AH.

- **War Poetry in the Jahili Era**, Ali Al-Jundi, Dar Al-Fikr, Cairo, 1989.

- **Tabaqat al-Shu'ara (The Classes of Poets)**, Muhammad Ibn Sallam Al-Jumahi, Study by: Taha Ahmad Ibrahim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2001.

- **Loss by Death in the Poetry of Early Islam and the Umayyad Era: An Analytical Study in Light of Cultural Patterns**, Lubna Hosni Ali Salem, *Journal of the Faculty of Education*, Ain Shams University, No. 27, Part 1, 2021.

- **Another Reading of *The Beloved's Path***, Saad Jirjis Saeed, Shams Publishing and Media, Cairo, 2nd ed., 2024.

- **The Order of Things**, Michel Foucault, trans. Muta'a Safadi et al., Dar Al-Farabi, Beirut, 2nd ed., 2012.

- **Lisan Al-Arab**, Ibn Manzur, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 2003.

- **The Language of Absence in Modernist Poetry**, Kamal Abu-Deeb, *Aqlam Journal*, Baghdad, No. 5, May, 1989.

- **Longer Distances**, Ahmad Muhammad Al-Humaidi, Sahara Publishing, 1st ed., 2014.

- **Contemporary Arabic Language Dictionary**, Ahmad Mukhtar Omar, Alam Al-Kutub, Cairo, 1st ed., 2008.

- **Dictionary of Contemporary Literary Terms (Presentation, Translation, and Commentary)**, Saeed Alloush, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, 1st ed., 1985.

- **Death in Western Thought**, Jacques Choron, trans. Kamel Youssef Hussein, Al-Risala Press, Kuwait, 1984.

- **Naqd Al-Shi‘r (Criticism of Poetry)**, Qudamah Ibn Ja‘far Ibn Ziyad Al-Baghdadi (d. 337 AH), ed. Muhammad Abdul Mun‘im Khafaji, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st ed., 1912.

- **The Theory of Abu Uthman Ibn Bahr in Literary Criticism**, Issa Ibrahim Al-Saadi, Dar Al-Mu‘tazz, Amman, Jordan, 1st ed., 2010.

- **Text, Discourse, and Action**, D. Beaugrande, trans. Tamam Hassan, Alam Al-Kutub, Cairo, 1st ed., 1998.

- **Gifts of Loss: Imagination and Poetic Structures in the Experience of Iraqi Poet Salman Dawood Mohammed**, Alaa Hamd, Al-Nukhba Publishing, Giza, Egypt, 1st ed., 2017.